بـدر الـدين السـنجاري، ولـذا شـنق القاضـي كمـال الـدين بالـديار المصـرية في سـنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م[١].

وفي ضـوء التتبـع لسـيرة القاضـي كمـال الـدين الكـردي يمكـن التوصـل إلى بعـض الاستنتاجات منها :

آ. إنه كان قاضياً في المقس في بداية عهد المماليك عندما كان القاضي بدر الدين السنجاري الكردي قاضياً لقضاة الديار المصرية والذي استمر في القضاء، - كما أشرنا سابقاً - إلى سـنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ومـن ثـم أعيـد إلى وظيفتـه سـنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م إلى أن عزلـه الملـك الظاهر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م ولا يستبعد أن يكون القاضي كمال الدين نائباً للقاضي بـدر الدين الذي كان له نواب في الديار المصرية، حسب ما ذكره المؤرخ أبو شامة أن القاضي كمال الدين كان أحد أقارب قاضي سنجار[٢] بدر الـدين السـنجاري، والـذي يـدعم هـذا الاستنتاج أن الوزير أبن حنا والقاضي ابن بنت الأعز حقد عليه لجرأتـه وكونـه أحـد أصحاب القاضي بدر الدين السنجاري الذي حورب من قبلهما أيضاً.

ب. على الرغم من أنه لم يكن من ذوي المناصب الرفيعة في الدولة المملوكية ولكن كان لـه طموحات سياسية ورام لإقامة دولة، بواجهة عباسية مع أن محاولاته اتسمت بالطابع الشخصي، ولم يكتب لها النجاح ولكن تعدّ أولى حركات المعارضة للسلطة المملوكة.

يعدّ القاضي صدر الـدين بـن موهـوب الجـزري مـن القضـاة المشـهورين في مصـر وكـان أصله من جزيرة أبن عمر، برع في الفقه والنحو، ويذكر انه كـان ينـوب في قضـاء القـاهرة عن عز الدين بن عبد السلام[٣] مدة من الـزمن[٤] ثـم اسـتقل بقضـاء مصـر وأعمالها دون

---

[١] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص ص ١٧٠-١٧٢ " الذهبي، تاريخ الاسلام، ص ص ٤١٣-٤١٣-٤١٤.

[٢] الذيل على الروضتين، ص٢١٧.

[٣] عز الدين عبد السلام، من أشهر علماء الشـافعية أواخـر العهـد الأيـوبي وبدايـة عهـد المماليـك البحريـة، عـين في قضـاء مصـر والوجـه القبلـي بعـد وفـاة القاضـي أبـن عـين الدولـة سـنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم لم يلبث أن عزل القاضـي ابـن عبـد السلام نفسه عن القضاء اثر خلاف بينه وبين الوزير معين الدين ابن الشيخ، وكان للقاضي ابـن عبد السلام مواقف مشهودة تجاه السلطة، وله مصنفات حسـان تـوفي سـنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، ينظر : الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص ص ٤١٦ -٤١٩ " ابـن كـثير، البدايـة والنهاية، ج١٣، ص١٧٦.

[٤] أبو شامة، مصدر سابق، ص٢٤٠.

القاهرة بعد أن عزل القاضي عبد السلام نفسه في أواخر العهد الأيوبي وبقي مدة في وظيفته، توفي سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م[١]، وكان من فضلاء زمانه إماماً عالماً عابداً[٢]. لم تذكر المصادر المتاحة المدة التي قضاها القاضي صدر الدين الجزري في منصب القضاء.

ومن أبناء أسرة أبن خلكان الاربلي اشتهر ببلاد الشام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم الشافعي الذي تولى قضاء تل باشر[٣] مدة واهتم بعلم الحديث وتوفي سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[٤]، وممن مارسوا القضاء في بلاد الشام من الكرد الشهرزوريين القاضي شمس الدين أبو الحسن الشهرزوري الكردي الشافعي الذي ناب في قضاء دمشق عن قاضي القضاة ابن خلكان إلى أن عزل الأخير وانعزل بعزله، ثم اهتم بعد ذلك بالتدريس إلى أن توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٥]. كان القاضي شمس الدين الشهرزوري من العلماء الأفذاذ قوي النفس ذو هيبة ووقار وجرأة لا يأخذه في الله سبحانه وتعالى لومة لائم، وسجل التاريخ بحقه موقفاً ينم عن توثبه وشدة التزامه وهيبته، إذ عندما احتاط الملك الظاهر على الغوطة سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[٦] تكلم القاضي الشهرزوري بدار العدل بدمشق وبحضور الملك الظاهر منتقداً موقفه وقال : ((المال والكلأ والمرعى لله لا يملك، وكل من بيده ملك فهو له، فبهت السلطان كلامه))[٧].

---

[١] الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦٦١-٦٧٠هـ)، ص٢٠٨ " السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٣٠٩.

[٢] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ص٣٢٠-٣٢١.

[٣] تل باشر : قلعة وكورة واسعة تقع إلى شمالي حلب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٠.

[٤] الذهبي، مصدر سابق، ص٢٣١.

[٥] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص ص١٩٢-١٩٣ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠٦ " ابن الملقن، العقد المذهب، ص٤٩٧ " العيني،عقد الجمان، ج٢، ص١٧٠ " من بين المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة حدد المؤرخ ابن الجزري فقط سنة وفاته ٦٧٤هـ/١٢٧٥م " ينظر : تاريخ أبن الجزري، ص٢٨٣.

[٦] لتفصيل ذلك ينظر : اليونيني، مصدر سابق، ج٣، ص ص٣٨٥-٣٨٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦٧١-٦٨٠)، ص ص٣٨-٣٩.

[٧] الذهبي، مصدر سابق، ص ص١٨٩-١٩٠ " ويقارن بأبن الجزري، مصدر سابق، ص٢٨٣" نقولا نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك، ص٢٠٠.

نخلص مما سبق إلى ان القاضي شمس الدين الشهرزوري كان ينوب عن قاضي القضاة ابن خلكان في قضاء دمشق خلال ولايته الأولى التي امتدت من سنة (٦٥٩-٦٦٩هـ/١٢٦١-١٢٧٠م)، وهو عين في نيابة الحكم من قبل القاضي ابن خلكان وليس من قبل السلطان لأنه عزل بعزل موليه. ويدل انتقاده لتجاوزات الملك الظاهر بحضوره على قوة شخصيته وشكيمته وإنه لا يصانع أحداً في الحق ولو كان سلطاناً كما ويدل على استقلالية القضاء الإسلامي وعلو همة العلماء وسمو قدرهم في التاريخ الإسلامي.

كما وتولى عمر بن أسعد الأربلي نيابة الحكم عن القاضي وأبن الصائغ بدمشق مدة، وهو من الفقهاء الورعين وكان فاضلاً ديناً، توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[١]. وبما أن القاضي أبن الصائغ حل محل القاضي ابن خلكان في قضاء القضاة الشافعية بدمشق سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م إلى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م السنة التي أعيد فيها القاضي أبن خلكان إلى منصبه[٢].

لذا يمكن القول أن عمر الأربلي تولى نيابة الحكم لمدة لم تحددها المصادر ولكنها تقع في فترة بين سنوات ٦٦٩-٦٧٥هـ/١٢٧٠-١٢٧٦م أي السنة التي تولى فيها القاضي ابن الصائغ قضاء دمشق والسنة التي توفي فيها الأربلي على الأرجح.

ويعدّ القاضي محمد بن علي أبو الفضل البدليسي[٣] الخلاطي من العلماء الذين رحلوا في طلب العلم إلى أن استقر في القاهرة وولى القضاء فيها وصنف كتباً، توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٤].

ومن قضاة الكرد الذين تولوا منصب القضاء في أكثر من مدينة أو بلدة القاضي تاج الدين الكردي الأربلي الشافعي، الذي باشر الحكم ببلاطنس[٥] وحمص وبعلبك وغيرها، ومارس نيابة الحكم بدمشق عن القاضي ابن الصائغ، وفي أوائل سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م ولى

---

[١] اليونيني، مصدر سابق، ج٣، ص١٩٣ " ابن الجزري، مصدر سابق، ص٢٩١.

[٢] ينظر : ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص ص١٩٥، ٢١١.

[٣] البدليسي نسبة إلى بدليس مدينة تقع بالقرب من خلاط من أعمال إقليم أرمينية " ياقوت الحموي، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ص٣٥٨-٣٥٩.

[٤] أبن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٧ " وينظر الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٧١-٦٨٠هـ)، ص٢٠٠.

[٥] بيلاطنس، قلعة حصينة من أعمال حلب بسواحل الشام مقابل اللاذقية " ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٧٨.

القضاء بحلب وأعمالها بتقليد سلطاني لمدة شهرين، واستشهد يوم المصاف [1]. وكان من فضلاء الفقهاء[2].

كان للقاضي ابن خلكان الاربلي أخ أسن منه بخمس سنين، وهو محمد بن محمد أبو عبدالله بهاء الدين ابن خلكان الذي كان أصله من أربل وارتحل إلى بلاد الشام حيث اشتغل بتحصيل العلوم وتولى قضاء مدينة بعلبك إلى أن توفي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م[3].

وكان القاضي بهاء الدين من حسنات الدهر، وقد أشاد المؤرخ اليونيني بأخلاقه واستقامته بقوله : ((كان رجلاً معدوم النظير في كثير من أوصافه، عنده تواضع مفرط، ولين الكلمة ورقة القلب، وغزارة الدمعة، وسلامة الصدر، وحسن العقيدة في الفقراء والصالحين، وعدم الالتفات إلى الدنيا والاحتفال بأمرها، ولّى الحكم ببعلبك وعملها، وباشر ذلك بضع سنين إلى حين وفاته – رحمه الله – ولم ينله من جميع ما كان باسمه من الجامكية (الراتب)، والجراية إلاّ قوته لا غير، ولا يسأل عما عدا ذلك، وأما بشره وتلقيه بالترحب لمن يحضر عنده، فخارج عن الحد حتى لقد كنت اترك الاجتماع به مع كثرة إيثاري لذلك لما يعاملني في المبالغة من الإكرام. وتوفي إلى رحمة الله تعالى ولم يترك درهماً ولا ديناراً سوى ثياب بدنه لا غير، وكانت يسيرة جداً، وترك عليه جملة من الدين بيعت كتبه، ووفر ما عليه))[4]، وهذه خير شهادة على نزاهة القاضي بهاء الدين ونقاء سريرته وطهارة ذمته وحسن سيرته.

يعد الصاحب محي الدين الآمري أحد العلماء الذين انتهت إليهم مشيخة فقه الحنفية في بلاد الشام، وتولى لمدة لم تحددها المصادر المتاحة القضاء في حلب ثم أصبح وزيراً في دمشق وتوفي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م[5].

---

[1] يوم المصاف، او وقعة حمص معركة جرت بين القوات المغولية وجيش المماليك بالقرب من حمص عندما هاجم الجيش المغولي بلاد الشام سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م وأسفرت عن هزيمة المغول وانسحابهم، لتفصيل ذلك ينظر الكتيي، عيون التواريخ، ج٢١، ص ص٢٧٨–٢٨٠ " ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٢٢–٢٢٣.

[2] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٣٣ " الذهبي، مصدر سابق، ص ص ٣٧٦–٣٧٧.

[3] الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٥٤ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٠٣ " الكتيي، مصدر سابق، ج٢١، ص٣٤٤ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٤.

[4] ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص ص ٢٣٤–٢٣٥.

[5] المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٢٧٠.

وكان القاضي ابراهيم بن علي بن إبراهيم أبن خشنام بن احمد الكردي الحميدي الحنفي من علماء الكرد الذين استوطنوا في مدينة حلب حين اخذ قسطاً من العلم وولى قضاء حمص، فلما وصل المغول إلى حمص (سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م) ولوه قضاءها مرة أخرى ثم سافر مع المغول فولوه قضاء خلاط فأقام بها ست سنين وتوفي سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م[١] ويستدل من ذلك أن القاضي إبراهيم الكردي كان قاضياً في حمص أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي إلى سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، حيث انسحب المغول من الشام ونظراً لأنه داخل المغول وقبل تعيينهم إياه للقضاء نجد أنه لم يترك حمص بعد انسحابهم خوفاً من المماليك.

ومن علماء الكرد الذين تولوا نيابة الحكم بحلب صدر الدين الكردي البختى[٢] الذي توفي سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م[٣]. وممن اشتهروا بحلب أيضاً من العلماء بدر الدين الآمدي الحنبلي الذي تولى فيها بعض المناصب ثم عين لقضاء الحنابلة في دمشق لمدة وتوفي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[٤].

ومن أسرة ابن خلكان الأربلي اشتهر القاضي نجم الدين أبو بكر بن القاضي نجم الدين أبو بكر بن القاضي بهاء الدين أبن أخي القاضي شمس الدين ابن خلكان، اشتغل بتحصيل العلوم وولى القضاء في بعض مناطق الشامية، ثم رمي بالانحلال والزندقة ولكن تاب واعتذر عنه بأنه مضطرب عقلياً وتوفي سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م وقد قارب الثمانين من عمره[٥]. ولا بد أنه كان سليم العقيدة والموقف عندما كان قاضياً، إذ لا يتولى منصب القضاء إلاّ من يشهد له بالاستقامة والاتزان ويجب أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية[٦] ومن المرجح انه خرف واختل عقله بعد أن شاخ وكبر في السن.

---

[١] أبن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣.
[٢] البختي نسبة إلى عشيرة البختية الكردية.
[٣] ابن حجر،مصدر سابق،ج٢،ص٢٦٠.
[٤] أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٥، ابن مفلح، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام احمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض : ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج٢، ص٤٦٦.
[٥] ابن حجر، م. ن، ج١، ص٤٨٧ " ويقارن مع الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٤٥٣.
[٦] ينظر : ابن أبي الدم، أدب القضاء، ص٢١.

ومن علماء الكرد ممن مهروا في وظيفة القضاء القاضي عز الدين عبدالعزيز بن أحمد بن عثمان أبو الفدا الهكاري المصري المعروف بأبن خطيب الاشمونين الذين تولى قضاء الأعمال القوصية، ثم تولى قضاء المحلة في الديار المصرية[1] ويذكر أنه كان من الفقهاء العلماء ونصب لقضاء دمشق بعد أبن صصري[2]، ولكن لم يرض بها وبقى على حاله ثم عين لقضاء القضاة في القاهرة بعد أن عزل القاضي بدر الدين بن جماعة [3] بسبب عمه. وذلك في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م فدخل القاهرة وهو مريض فمات بعد قليل في السنة نفسها [4]، كان القاضي عبدالغزيز الهكاري من خيار القضاة اهتم بطلب العلوم الإسلامية وصنف فيها واشتغل باستنباط الأحكام كان له اهتمامات أدبية [5]. والظاهر أنه لم يباشر الحكم بالقاهرة بسبب مرضه الذي توفي به.

ومن الكرد الهكاريين الذين استقروا في مصر وكان لهم شأن حضاري وتولوا الوظائف فيها القاضي عز الدين الخضر بن عيسى بن الخضر الهكاري، الذي تولى قضاء الأشمونين لمدة، وتوفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م بعد عزله عن القضاء[6].

وكان وظيفة قضاء العسكر من الوظائف القضائية الجليلة ترجع نشأتها إلى بداية العصر الأيوبي وكان صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة ويسافر مع السلطان إذا سافر كانوا في العهد المملوكي ثلاثة نفر شافعي وحنفي ومالكي[7]، وفي تلك الحقبة قلما يوجد قاضي العسكر من الحنابلة وذلك لقلة عددهم ولندرة وجود الحنابلة في الجيش

---

(١) ابن الملقن،العقد المذهب،ص٤١١،ابن العماد الحنبلى،شذرات الذهب،ج٦،ص٧٧.

(٢) أبو العباس احمد بن عماد الدين بن صصري قاضي القضاة بالشام منذ سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢ م. والمدرس في مدارسها وهو من مشاهير العلماء، توفي سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م. ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٧٩.

(٣) بدر الدين بن ابراهيم بن جماعة تولى القضاء بالقدس ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية ثم نقل إلى دمشق ثم أعيد إلى قضاء مصر وعزل لمدة سنة تولى القضاة بها وعزل سنة ٧٢٧هـ استمر في التدريس وله مشاركة حسنة في العلوم توفي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٤م " ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج٦، ص ص١٠٥-١٠٦.

(٤) الصفدي، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٧٣-٩٧٤ " ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٧ " أبن حجر، مصدر سابق، ص ٤٧٨.

(٥) أبن كثير، مصدر سابق، ج١٤، ص٩٧ " السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج١، ص٨٢.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٤٨.

(٧) القلشقندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣٧.

المملوكي[1]. ومن قضاة المالكية ممن تولوا قضاء العسكر في العهد المملوكي القاضي كمال الدين الاخنائي الذي توفي سنة ٧٣٩هـ/١٣٤٠م[2].

كما وسكن القاضي ابراهيم بن أبي بكر السنجاري الإسكندرية وولى القضاء ببعض مناطق مصر لم تحددها المصادر ثم ولى بعد ذلك قضاء غزة وتوفي سنة ٧٤١هـ/١٣٤٢م[3].

ويعدّ القاضي إبراهيم بن محمد بن يوسف الاربلي من القضاة المشهورين بالخير والديانة والصرامة في أحكامه تفقه على مذهب الإمام الشافعي (رحمه الله)، وولى قضاء حسبان في الشام مدة ثم استنابه القاضي أبن جملة[4] في قضاء دمشق، واستمر في نيابة الحكم أكثر من عشرين سنة وتوفي سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٦م وكان محمود السيرة ومن قضاة العدل[5].

ويذكر المؤرخ الصفدي أنه كان نائباً لقاضي القضاة تقي الدين السبكي[6]، ووصفه بأنه: ((كان شديداً في أحكامه، شديداً في نقضه وإبرامه ولا يراعي ولا يداهن مخلوقاً، ولا يعرف من كان مرموقاً بالأبصار أو موهوقاً، قد تلبس بالصلابة وتأنس بالتصميم دون اللين، فلا يجيب من دعائه إلى دعابة، وكان قاضي القضاة يعتمد في الأحكام المعضلة على حكمه المسدد، وتحقق انه تفرد في عصره بهذا الخلف وتفرد[7]. بما أن القاضي أبن جملة تولى قضاء القضاة بدمشق سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٤م وعزل سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٥م بعد سنة ونصف من بقائه في المنصب المذكور))[8].

---

(١) علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٢٠.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٢١.

(٤) ابن جملة، جمال الدين يوسف بن ابراهيم، من العلماء الذين اشتغلوا بالتحصيل والتدريس ولى القضاء بدمشق نيابة واستقلالاً، توفي سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٩م " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ص١١٩-١٢٠.

(٥) أبن حجر، مصدر سابق، ج١، ص٧٢ " ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٦٠.

(٦) تقي الدين السبكي الإمام أبو الحسن بن عبدالكافي، المفسر الحافظ اللغوي، ولى قضاء القضاة الشافعية في مدينة دمشق سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م إلى أن توفي سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م " أبن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج٦، ص ص ١٨٠-١٨١.

(٧) أعيان العصر، ج١، ص ٧٤.

(٨) ينظر : أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ١٢٢.

ويستدل من هذا على أن القاضي إبراهيم الأربلي مارس القضاء في حسبان قبل سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٤م. ومن المرجح أنه القاضي أبن جملة استنابه في قضاء دمشق في بداية توليه للقضاء فيها، والظاهر أنه عين من قبل القاضي تقي الدين السبكي في نيابة القضاء بعد عزل أبن جملة لأنه عزل بعزل مستنيبه، واستمر في وظيفته هذه إلى ما يقارب سنة ٧٥٤هـ/٧٥٣م.

وعاصر القاضي إبراهيم الأربلي عالم كردي آخر في بلاد الشام وهو إسماعيل بن إبراهيم الكردي الذي ناب في قضاء غزة مدة ثم انتقل إلى دمشق وتوفي فيها فجأة سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٦م[١].

تعدّ وظيفة إفتاء دار العدل من الوظائف القضائية التي يتولاها مفتو دار العدل وهم أربعة نفر من كل مذهب واحد، ومهمتهم الجلوس بدار العدل، حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات، أو الإفتاء فيهما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل، وهي وظيفة جليلة لصاحبها مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معناهم[٢].

لذلك فانهم لا يفضلون في الخصومات، وإنما يبينون حكم الشرع فيما توجه إليهم من المسائل أو ما أشكل من الناس من الأحكام[٣]. ومن قضاة الكر الذين تدرجوا في المناصب القضائية وتولوا وظيفة إفتاء دار العدل القاضي بدر الدين الاخنائي المالكي الذي باشرها في سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٢م والى سنة ٧٧٣هـ/١٣٧٥م[٤]، وهو مفتى المالكية بدار العدل.

وفي ضوء ما تناولنا من الروايات التاريخية بصدد الكرد والوظائف القضائية برزت للبحث جملة من المفهومات أهمها :

١. إن بعض قضاة الكرد كانوا من المخضرمين، ظهروا وتولوا وظائف قضائية أواخر العصر الأيوبي وبقوا في مناصبهم أو ترقوا فيها في بداية العصر المملوكي، فالقاضي بدر الدين السنجاري إن لم تكن أول قاض قضاة الديار المصرية في العصر المملوكي فهو من أوائل القضاة فيها، حيث ترقى مع ذلك إلى منصب الوزير كما وتولى أخوه القاضي برهان الدين الوزارة أيضاً. مما يدل على أن الوظائف التي كانت يتولاها أصحاب القلم ظلّت مفتوحة في العصر المملوكي للأكفاء لمن يثبت جدارته في هذا المضمار بغض النظر عن سابقته الوظيفية وعلاقته مع ملوك الدولة الأيوبية.

---

[١] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٨٨.
[٢] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣٧، ج١١، ص٢٠٥.
[٣] علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٨١.
[٤] المقريزي، السلوك، ج٤، ص ص٣٤٠، ٣٤٨.

٢. نبغ أفراد أسرة ابن خلكان الاربلي في بلاد الشام إبان العصر المملوكي وكان أشهرهم القاضي شمس الدين ابن خلكان، الذي حاز على رضى الناس ومحبتهم من خلال مباشرته العمل القضائي، كما وتولى أخوه وأبن أخيه المناصب القضائية فيها، مما يدل على أن لمكانة الأسرة العلمية أثر في تعيين بعض أفرادها قضاة.

٣. أن بروز بعض العلماء من الكرد الهكاريين في المناصب القضائية يدل على ازدياد حجم مشاركتهم الحضارية في العهد المملوكي بعد أن كان دورهم العسكري والسياسي هو الغالب على نشاطاتهم في العهد الأيوبي.

٤. إن جلة علماء الكرد ممن باشروا العمل القضائي خلال عهد المماليك البحرية هم من ذوي الكفاءة الفقهية ومن عدول القضاة واشتهروا بحسب شهادات المصادر بحسن السيرة فضلاً عن الأمانة والجرائة وهذا يفسر كثرة عددهم خلال تلك الحقبة.

٥. إن السلطة القضائية في العهد المملوكي كانت تتمتع بقسط وافر من الاستقلالية وكان يراعي فيمن يرشح لتوليتها الشروط المعتبرة في أدب القضاء الإسلامي، ولم يكن للاعتبارات العنصرية شأن في ذلك، مما وفر الفرصة أمام علماء الكرد لينموا مهاراتهم وترقوا في المناصب القضائية.

**ثانياً: وكالة بيت المال**

وهي من الوظائف الدينية الرفيعة التي تخص مهمتها بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراضي وعقارات، والمعاقدة على تلك وله مستندات من البلاط السلطاني، ولا يلي هذه الوظيفة إلاّ أهل العلم والديانة، ويكون صاحبها مجلس بدار العدل تارة يكون أرقى رتبة من المحتسب وأحياناً دونه[١].

تولى بعض علماء الكرد هذه الوظيفة في بلاد الشام وذلك في بداية تدرجهم في المناصب الدينية، إذ كان القاضي شهاب الدين الزرزاري الأربلي المار ذكره كان ينوب في وكالة بيت المال بدمشق لفترة لم تحددها المصادر[٢]. ثم ولي فيها وكالة بيت المال في جمادي الأولى سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م وجاء إليه تقليد من مصر بذلك. وهنأه الناس[٣]، واستمر في وظيفته إلى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، حيث عين في قضاء قضاة دمشق[٤].

لذا بإمكان الباحث أن يقول أنه كان في بداية العقد الرابع من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ينوب في وكالة بيت المال بدمشق وبعد توليته لوظيفة الوكالة فيها استقلالاً لم يبق فيها إلاّ مدة تقارب ستة أشهر.

وفي سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م تولى وكالة بيت المال بدمشق تقي الدين أبو بكر الآمدي، وقد أورد المؤرخ ابن حجر كيفية وصوله إلى تلك الوظيفة وذكر انه : ((كان يلقن القرآن بالجامع الأموي وكان يشتري مملوكاً بعد مملوك فيعلمه القرآن والكتابة ثم يبيعهم فيربح فيهم كثيراً، فاتفق أنه قدم منهم واحداً لبرقوق فوقع منع موقعاً حسناً فسعى فولاه وكالة بيت المال))[٥]. ولم يجد من المصادر التي أطلعنا عليها المدة التي قضاها تقي الدين الأمدي في هذه الوظيفة. ومن المرجح إنها لم تكن طويلة وذلك نظراً لكثرة الاضطرابات والتغيّرات التي أصابت الوضع السياسي أواخر عهد المماليك البحرية والتي

---

[١] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص ص٣٧-٣٨ " ابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٦٦ " محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٦١.

[٢] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٣٧٣ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٨٧. وينظر، ص (١٢٥) من هذه الأطروحة.

[٣] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٢١.

[٤] الصفدي، أعيان العصر، ج٤ " ابن حجر، مصدر سابق، ج٢، ص ٨٧.

[٥] أنباء الغمر، ج٢، ص ٦.